ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمس مئة

ففيها نَزَلَ الفرنج على تِبْنين، وأنفذ العادل القاضي محيي الدِّين بن الزَّكي إلى العزيز بمصر مستصرخاً، فأرسلَ العساكر، وقَدِمَ بنفسه، فرحل الفرنج خائبين لما تحقَّقوا من قوة العسكر الإسلامي بعد أن أقاموا عليها شهرين وسبعة أيام، وأطمعتهم أنفسُهم بأَخْذِها، ورجع العزيز إلى مِصْر والعادل إلى دمشق بعد أن تقرَّرتِ الهُدْنة مع الفرنج لمدَّة خمس سنين وثمانية أشهر، أولها رابع عشر شعبان سنة أربع وتسعين وخمس مئة[1].

وفيها عاد الأسطول المِصْري من الغزو بعد أن اجتاز ببلاد ابن لاون، ووصل معه إلى مِصْر من السَّبْي أربع مئة وخمسون أسيراً.

وفيها حجَّ بالنَّاس من الشَّام زين الدِّين قَرَاجا مملوك صلاح الدِّين.

وفيها توفي جُرْديك النوُّري[2]، وكان من أكابر أمراء نور الدين، وخَدَمَ صلاح الدين في جميع غَزَواته، وهو الذي قَتَلَ شاور بمصر وابنَ الخَشَّاب بحلب، وكان شجاعاً جَوَاداً، وولَّاه صلاح الدين القُدْس.

وفيها توفي الشيخ أبو علي الحسن بن مُسَلَّم الزَّاهد الفارسي[3]، من قريةٍ بنهر عيسى يقال لها الفارسية.

كان من الأبدال، لازماً لطريق السَّلف، أقام أربعين سنة لم يكلِّم أحداً من النَّاس، وكان صائم الدَّهر، قائم الليل، يقرأ كلَّ يومٍ وليلة خَتْمة.

---

(١) ذكر ابن واصل في «مفرج الكروب»: ٣/ ٧٨ أن مدة الهدنة ثلاث سنين، وتابعه على ذلك المقريزي في السلوك ج١/ق١/ ١٧٢، وهو وهم، والصواب ما ذكره أبو شامة، لأن حرب العادل لم تتجدد مع الفرنج إلا في سنة (٦٠٠ هـ)، وهو تاريخ انتهاء هذه الهدنة.

(٢) له ترجمة في الوافي بالوفيات: ١١/ ٦٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٣، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٦، وأخباره في «كتاب الروضتين».

(٣) له ترجمة في معجم البلدان: ٢/ ٣١٨، ٣/ ٢٢٨، الكامل: ١٢/ ١٣٨ ـ ١٣٩، مرآة الزمان (وفيات =

ذكره أبو الفرج ابنُ الجَوْزي في كتاب «صفوة الصَّفوة» وقال: كان زاهد زمانه، وكانت السِّباع تأوي إلى زاويته، وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته، وكانت وفاته يوم عاشوراء، ودفن في رباطه بالفارسية[1].

وحكى عنه جماعةٌ من مشايخ القرية أنَّ السِّباع كانت تنام طول الليل حولَ زاويته، وإذا خرج أحدٌ من القرية في الليل إلى نهر عيسى لم تتعرَّض له، وأنَّ فقيراً نام في الزَّاوية في ليلةٍ باردة، فاحتلم، فنزل إلى النهر ليغتسل، فجاء السَّبُع، فنام على جُبَّته، فكاد الفقير يموت من البرد والخوف، فخرج الشيخ حسن، وجاء إلى السَّبُع، وضربه بكُمِّه، وقال: يا مبارك، قد قلنا لك لا تتعرض لضيفنا. فقام السَّبُع يهرول. سمع قاضي المارَسْتان، وابن الحُصَين، وابنَ الطُّيوري، وغيرهم.

وفيها توفي في المحرَّم بسِنْجار صاحِبُها عماد الدين زَنكي[2] بن مودود بن زَنْكي ابن أخي نور الدين وخَتَنُه على ابنته، وكان عاقلاً جَوَاداً، ولم يزل مع صلاح الدين في غَزَواته مجاهداً، وكان ميمون النقيبة. وكان صلاح الدين يحترمه مثلما كان يحترم نور الدين، ويعطيه الأموال والهدايا والتُّحَف الكثيرة. ولما توفي صلاح الدين خَرَجَ مع أخيه عِزِّ الدين إلى لقاء العادل، فلما عاد عِزُّ الدين إلى المَوْصِل صالح عمادُ الدين العادِلَ. ولما احتُضِرَ أوصى إلى أكبر أولاده وهو قُطْبُ الدين محمد، ويلقب بالمنصور.

= سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٠٠ـ٣٠١، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٠١ـ٣٠٢، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٣، المختصر المحتاج إليه: ٢/ ٢٦، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٧٠، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٩٥ـ٣٩٧، توضيح المشتبه: ٢/ ٥٣٣، ٧/ ١٠، ٨/ ١٥٢، المقصد الأرشد: ١/ ٣٣٩، المنهج الأحمد: ٤/ ٧ـ٨، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٦.

(١) لم أجده في مطبوع «صفوة الصفوة».

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، وفيات الأعيان: ٢/ ٣٣٠ـ٣٣١، الوافي بالوفيات: ١٤/ ٢٢٣ـ٢٢٤، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٤، الدارس: ١/ ٦١٧، وأخباره في «كتاب الروضتين».

وفيها توفي أبو الحسن علي بن جابر بن زهير، قاضي البطائح[١].

ولد سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، فسمع بها الحديث من أبي الوقت، وابن ناصر، وابن الجَوَاليقي، وغيرِهم، وخرج إلى رَحْبة مالك بن طَوْق، فقرأ الفِقْه والأدب على أبي عبد الله ابن المُتَقَّنة[٢]، وعاد إلى البطائح، فولي القضاء بالعراق، ثم عاد إلى بغداد، فأقام بها، ثم انحدر إلى البطائح، فتوفي بطريق
١٤ واسط، وكان ثِقَةً صالحاً. وقال: أنشدني القاسم بن علي صاحب «المقامات» لنفسه[٣]:

لا تَخْطُوَنَّ إلى خِطْءٍ ولا خَطَأ مِنْ بَعْدِ ما الشَّيْبُ في فَوْدَيْكَ قد وَخَطَا

فأيُّ عُذْرٍ لمنْ شابَتْ ذَوَائِبُهُ إذا سعى في ميادينِ الصِّبا وخَطَا

وفيها توفي أبو المجد علي بن علي ابن ناصر، السيد العلوي، مدرس الحنفية ببغداد[٤].

---

(١) له ترجمة في معجم البلدان: ٣/ ١٧٢، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣١٦، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٢٠، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، وفي معجم البلدان والنهاية: علي بن رجاء، وهو خطأ.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن الحسن، فقيه شافعي، وهو صاحب الأرجوزة في علم الفرائض، المسماة «بغية الباحث»، والمشهورة بالرَّحْبية، توفي سنة (٥٧٧ هـ) على الأرجح، انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ١٥٦.

(٣) في (ب) بخط مغاير: وهو الحريري.
قال إبراهيم عفا الله عنه: ولا يصح ذلك، لأن القاسم بن علي صاحب المقامات توفي سنة (٥١٦ هـ)، وولد علي بن جابر سنة (٥٢٩ هـ)، أي بعد وفاة الحريري بنحو ثلاثة عشر عاماً، انظر ترجمة الحريري في «السير»: ١٩/ ٤٦٠ ـ ٤٦٥.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٣٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٠٣، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٣٠، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩، الجواهر المضية: ٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥، (وفيه وفاته سنة ٥٩٩ هـ)، وهو خطأ.

ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة، وتفقَّه وأفتى وناظر، وكان المستنجد الخليفة قد حَبَسه وطالبه بمالٍ، فرأى النبيَّ ﷺ في المنام، فقال له: يا يوسف، استوصِ بولدي خيراً، فهو وديعتي عندك. فانتبه الخليفة مرعوباً، وأحضره وخاطبه، وقال: اجعلني في حِلٍّ، فقد شَفَعَ فيك من لا يمكنني رَدّه، وأحسنَ إليه.

وكانت وفاته في ربيع الأول، ودُفِنَ عند مشهد عبيد الله شرقيّ بغداد[١]، وكان صالحاً شريفاً على الحقيقة. سمع ابن الحُصَيْن، وقاضي المارَسْتان، وابنَ السَّمَرْقَنْدِي، وغيرهم.

وفيها توفي مجاهد الدِّين قايماز[٢] الخادم الزَّيْني[٣].

الحاكم على المَوْصِل الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة والرِّباط والمارَسْتان بظاهر المَوْصل على دِجْلَة، ووَقَفَ عليها الأوقاف، وكانت عليه رواتب كثيرة بحيث لم يَدَعْ في المَوْصِل بيتاً فقيراً إلا وأغنى أهله. وكان ديِّناً صالحاً، عادلاً كريماً، يتصدَّق كل يوم خارجاً عن الرَّواتب، بمئة دينار، وله حكاياتٌ مشهورة.

ولما مات عز الدين مسعود، وولي ابنهُ رسلان شاه حَبَسه وضَيَّق عليه

(١) في التكملة: ودفن من الغد عند السَّبْتي. قلت: فلعل عبيد الله هو السبتي، لأن مشهد السَّبْتي شرقي بغداد كذلك، انظر «خطط بغداد في القرن الخامس الهجري»: ص ٤٦، ٤٩.

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤، مرآة الزمان (وفات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣٢٣، كتاب الروضتين: ٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤، وفيات الأعيان: ٤/ ٨٢ ـ ٨٤، مفرج الكروب: ٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ١٧٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٥ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٤، وللدكتور صادق أحمد داود جودة كتيب في سيرته، طبع في مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥ م.

وروفاته عندهم ما عدا «مرآة الزمان» و«النجوم الزاهرة» سنة (٥٩٥ هـ)، وهو الصواب.

(٣) في النسخ الخطية الرومي، وهو وهم تابع فيه أبو شامة سبطَ ابن الجوزي في «المرآة»، والصواب ما أثبتناه، وهو نسبة إلى زين الدين علي بن بكتكين، وكان عتيقه. وانظر «التكملة» للمنذري.

obeikandi.com

وآذاه، فتوفي في الحبس، فأُخرج ملفوفاً في كِسَاء، فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن له. فأُلْقي على قارعة الطريق حتى أُذِن له.

وكان لعِزِّ الدين مسعود جاريةٌ يقال لها أقصرا أَوْلَدَها الجهة[١] الأتابكية التي تزوَّجها الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، وبَنَتْ في جبل قاسيون التُّربة، والمدرسة[٢] والمِئْذنة المنسوبات إليها. وكان عز الدين قد زَوَّج مجاهد الدين هذا أُم الأتابكية أقصرا المذكورة.

وفيها توفي أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زَبَادة الواسطي[٣].

ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، واشتغل بالأدب فَبَرَعَ في الإنشاء والكتابة، وانتهت إليه الرِّياسة فيهما مع تخصُّصه بفنون العلم كالفقه، وعلم الكلام، والأصول، والحساب، والشعر، جَالَسَ أبا منصور بن الجواليقي، وقرأ عليه، وسمع أبا القاسم الصَّباغ وغيره، وولي للخليفة عِدَّة

(١) سترد ترجمتها في سنة وفاتها (٦٤٠ هـ). والجهة: لفظ يكنى به عن زوجة الخليفة أو الملك، انظر «الألقاب الإسلامية» د. حسن الباشا ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٢) هي المدرسة الأتابكية، وفيها تربتها أيضاً. انظر «القلائد الجوهرية»: ١/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٣) له ترجمة في معجم الأدباء: ٢٠/ ١٦ ـ ١٨، الكامل: ١٢/ ١٣٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٣١٥، وفيات الأعيان: ٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩، مجمع الآداب: ٤/ق٤/ ٨٧٠ ـ ٨٧٢، ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣٨ ـ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧، العبر للذهبي: ٤/ ٢٨٤، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٢ـ ٢٤٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، توضيح المشتبه: ٤/ ٣٣٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٨.

وقد ضبط المنذري في التكملة: زبادة، بفتح الزاي وبعدها باء موحدة مفتوحة، وبعد الألف دال مهملة، وتاء التأنيث.

وقال ابن خلكان في «وفياته»: زبادة هو القطعة من الزباد الذي يتطيَّب النسوان به، والله أعلم. وهو الذي كتب عن الإمام الناصر رسالة إلى السلطان صلاح الدين يعتب فيها عليه أموراً صدرت عنه، انظر «الروضتين» ٣/ ٤٢١، وقد أورد الرسالة بتمامها وهي طويلة سبط ابن الجوزي في «المرآة» بتحقيقي.

خِدَم: حِجْبة الباب، ثم أُستاذية الدار، ثم كتابة الإنشاء في آخر أمره. وكانت وفاته في ذي الحِجَّة، ودفن في مقابر قريش. ومن شِعْره:

قد سَلَوْتُ الدُّنيا ولم يَسْلُها مَنْ ... عَلِقَتْ بي آمالُهُ والأراجي
وإذا ما صَرَفْتُ وَجْهيَ عنها ... قَذَفُوني في بَحْرها العَجَّاجِ
يَسْتضيئونَ بي وأَهْلِكُ وَحْدِي ... فكأَنِّي ذُبَالةٌ في سِرَاجِ

وفيها توفي أبو الهيجاء السَّمين الكُرْدي، ولقبه حُسَام الدين[1]، وقد تقدَّم أنه قَدِمَ بغداد، وبعثه الخليفة إلى هَمَذَان، فلم يتمَّ له أمر، واختلفَ الأمراء عليه، وتفرَّق عنه أصحابه، فخاف من الخوارَزْمي، واستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشَّام على دقوقا، فلما وصل إليها مَرِضَ، وأقام بها أياماً، فتوفي. وبلغني أنه كان نازلاً على تلٍّ، فقال: ادفنوني فيه. فحفروا له قبراً على رأس التَّلِّ، فظهرت بلاطةٌ عليها اسم أبيه، فدفنوه عليه. وقيل: كانت وفاته في أواخر السنة الثالثة والتسعين.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها استدعى الخليفةُ ضياءَ الدِّين ابنَ الشَّهْرُزُوري إلى بغداد، وولاه القضاءَ بها.

وحَجَّ بالنَّاس مظفَّرُ الدِّين وجه السَّبُع.

وفيها أُفرج عن الشيخ أبي الفرج ابن الجَوْزي، فَقَدِمَ بغداد في شعبان، وخُلِعَ عليه، وجلس عند تُرْبة أُم الخليفة، وكانت تتعصَّب له، وساعدت في خلاصه. وأنشد بيتَ الرَّضي الموسوي:

---

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٤ هـ)، والنجوم الزاهرة: ٦/ ١٤٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣١٧.

وقد سلفت بعض أخباره في سنة (٥٩٣ هـ)، وانظر أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.